

### المحور الخامس: تعريف ونشأة الفلسفة

.... إن مؤلفات الفلاسفة ورسائلهم في الحدود ومؤلفات الباحثين ومعاجمهم الفلسفية تضم عددا وفيرا من المصطلحات الفلسفية ومنها مصطلح الفلسفة (Philosophy) الذي يمكن أن يؤدي إحصاء تعريفاته الواردة في تلك المؤلفات إلى أنجاز كتاب قائم بذاته. ولا شك في أن هذا التنوع في تعريفات الفلسفة كان وراء الحكم في أن تقديم تعريف جامع مانع لها ينطبق على الفلسفات كلها غير ممكن، سواء كان ذلك بسبب الاختلاف حول الموضوعات المدروسة، أم بسبب تباين وجهات النظر حول الطرق المعرفية والمنطقية المؤدية إلى العلم بتلك الموضوعات، أم بسبب الأهداف المطلوبة من الفلسفة عند كل فيلسوف ومذهب فلسفي، حتى أصبح كل مذهب يسعى إلى تعريف الفلسفة تعريفا خاصا به، ولذلك لا أرى ضرورة أيراد تلك التعريفات واختلاف وجهات النظر فيها، لكني اذكر ما اجمع الكل عليه في حديثهم عن معناها اللغوي وهو أن الفلسفة مشتقة من الكلمة اليونانية (فيلوسوفيا) التي تعني حب الحكمة، وقد أفصح الفيلسوف "الفارابي" عن كثير مما يذكر عنها في قوله: الفلسفة إيثار الحكمة العظمى ومحبتها، ويسمون المقتني لها فيلسوفا، ويعنون المحب والمؤثر للحكمة العظمى، ويرون أنها هي بالقوة الفضائل كلها، ويسمونها علم العلوم وأم العلوم وحكمة الحكم وصناعة الصناعات، ويعنون بها الصناعة التي تستعمل الصناعات كلها، والفضيلة التي تستعمل الفضائل كلها، والحكمة التي تستعمل الحكم كلها.

وبناء على هذه المعاني يمكن القول أن تقديم تعريف لها بحسب ماهيتها يمكن أن يوحد جميع المواقف التي تختلف في تعريفها بسبب تباين موضوعاتها وغاياتها عند كل طرف. وهذا التعريف يتمثل بالقول: أن الفلسفة علم بحقائق الموجودات، ومن هذا عد "جابر بن حيان" العلم الفلسفي انه علم بحقائق الموجودات المعلولة. ومثله قول "الكندي" فهو أن الفلسفة علم الأشياء الأبدية الكلية، آنيتها وماهيتها وعللها، بقدر طاقة الإنسان.

وقول الفارابي "الفلسفة حدها وماهيتها، أنها العلم بالموجودات بما هو موجود".

## فلسفة العلم ومنهاج البحث العلمي

وهكذا يتبين أن للفلسفة غاية واحدة، البحث عن الحقيقة وعلى الباحث عن الحقيقة أن مجرد بحثه من الغايات الصغرى من عاطفية واجتماعية ومادية، وعليه أن ينطلق من سمت واحد معين، ثم يقبل ما يؤديه إليه بحثه مهما كانت النتيجة التي سيصل إليها.

.... إما عن نشأة الفلسفة فقد اختلف الباحثون في ذلك، فمنهم من يرى أن الفلسفة قد بدأت عند اليونانيين، وأول فلاسفتهم "طاليس" احد فلاسفة المدرسة الأيونية، ومنهم من يرى أن الفلسفة تمتد في أصولها إلى حضارات الشرق القديمة، والحقيقة أن الفلسفة هي سؤال ومنهاج وجواب، والسؤال الفلسفي قديم ومثله بذور منهاج الفلسفي، إما الأجوبة فكثيرة قديما وحديثا تارة تأتي على وفق منهاج، وأخرى دون منهاج وعليه فان ربط الفلسفة بحضارة دون حضارة، أو عصر دون عصر من ناحية السؤال الفلسفي حكم غير موفق، وان ربطها ببعض الأجوبة يجعلها قديمة عند من يؤمن بان الفلسفة مجرد جواب، إما من يرفض هذه النظرة ويربط ربطا وثيقا بين السؤال والمناج والجواب، ويرى أن الفلسفة منهاج عقلي، وأفكار تتولد عن ذلك المناج فتستكون بداية الفلسفة عنده مع بداية المناج وليس مع السؤال أو الجواب، لان أي إنسان يمكن أن يقدم جوابا، وإذا صح أن يجعل كل جواب على سؤال فلسفي دونما اعتماد على منهاج، صاحب الجواب فيلسوفا، فمن باب أولى أن يطلق على كل مفكر بأنه فيلسوف، مع أن الحقيقة هي أن كل فيلسوف مفكرا، وليس كل مفكر فيلسوفا، فالمفكر يكون فيلسوفا إذا امتاز بأربعة خصائص:

- 1- أن يبحث عن الحقيقة بحثا مجردا.
- 2- أن يكون بحثه هذا نظريا شاملا لمظاهر الوجود كلها.
- 3- أن يجري هو في بحثه على أسس من المنطق المؤيد بالبراهين.
- 4- أن يجد نظاما متماسكا خاصا به، ثم يستطيع أن يفسر لنا بهذا النظام مظاهر الوجود.